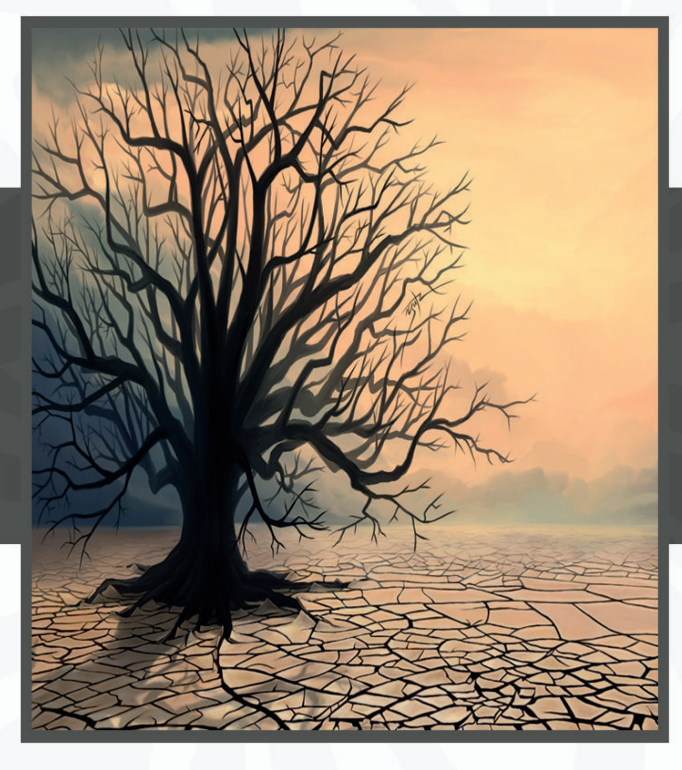


سلسلة إصدارات مركز المحتسب (٣٤)

الغلو في الدين

بين التفسير والتبرير



تأليف

د.عبدالله بن عبدالرحمن الوطبان

المشرف العام على مركز المحتسب للاستشارات

الغلو في الدين بين التفسير والتبرير

تأليف
د. عبد الله بن عبد الرحمن الوطبان
المشرف العام على مركز المحتسب للاستشارات

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ

ح دار المحتسب للنشر والتوزيع، ١٤٣٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بن وطبان، عبد الله بن عبد الرحمن
الغلو في الدين بين التفسير والتبرير.
عبد الله بن عبد الرحمن بن وطبان - الرياض، ١٤٣٨ هـ.
ص٧٢؛ ١٤×٢٠سم
ردمك: ٤-١-٩٠٩١٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الغلو في الدين ٢ - الوسطية في الإسلام أ. العنوان
ديوي ٢١١ ١٤٣٨/٤٨٠٥

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ



المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الأمير تركي الأول
هاتف وناسوخ: ١٤٨٢٠٦٠٤ - ص.ب: ٢٩١٢٤٦ - الرمز ١١٣٦٢
الموقع الإلكتروني: www.almohtasb.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

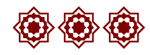
فلا شك أن ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحاضر ظاهرة معقدة ومركبة، وأن آثارها السلبية لم تعد كما كانت في الماضي منحصرة داخل إقليم أو منطقة محددة، بل إن آثارها صارت عابرة للقارات وتؤثر على واقع المسلمين في بلادهم وخارجها تأثيرات مدمرة. وحيث إن هذه الظاهرة تنطلق ابتداء من مرض فكري، فإنها تحتاج لدراسات وأبحاث وندوات لمواجهة هذا الداء السرطاني الفتاك الذي يشلُّ فعاليات الأمة ويضيِّع جهودها، فلا تعطي ثماراً بقدر المبذول.

إن هذا الواقع يلقي بالمسؤولية على العلماء والدعاة والمصلحين وارثي الميراث النبوي، لا سيما السائرين على النهج السلفي، فعليهم أن يسلكوا مسلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينين أخطار هذه الأفكار، ومحذرين من مسلك الغلاة الفجار؛ ليكون

الناس على بصيرة من أمرهم، ويحفظوا دينهم ودين أبنائهم أن يتخطفهم قطاع الطرق، ويحفظوا أمن بلادهم واستقرارها.

وفي الكلمات التالية فإننا نحاول أن نسهم بهذا الواجب قدر المستطاع، ونقطة الانطلاق هي تصور حقيقة الغلو، ومن ثم نعرج على تاريخه وأسبابه ومظاهره، لنصل لمشكلة البحث وهي خلط البعض بين التفسير والتبرير عند الكلام عن ظاهرة الغلو في الدين، وطرق القضاء على هذا الخلط.

والله المسؤول أن يجعل كلامنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا فيه للصواب ويجنبنا الزلل.



تعريف الغلو

عرف أهل اللغة الغُلو بأنه: (الِارْتفَاع فِي الشَّيْء ومجاوزة الحدّ فِيهِ، وَمِنْه قَوْله جلّ وعزّ: ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾، أَي لَا تجاوزوا الْمِقْدَار)[١]، وَقَالَ الراغبُ: (أَصْلُ الغُلُوِّ تَجاوُزُ الحَدِّ)[٢]، فكل مَن جاوز الحد فهو غالٍ.

وأما أهل الشريعة فلم يبعدوا في تعريفه عن المعنى اللغوي، لكنهم زادوه بيانا وتحديدا، قال شيخ الإسلام: (الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك)[٣]، ويوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريف الحدود قائلاً: (والحدود هي:

---

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، (٢/ ٩٦١).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٩/ ١٧٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ، (١/ ٢٨٩).



النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به)[١]، ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمر وضوحـًا فيحدد ضابط الغلو بقوله: (وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١])[٢]، فالطغيان والغلو هو التعدي والزيادة عن حدود الشرع والأمر والنهي.

فمعيار تحديد الغلو هو قول الله عَزَّوَجَلَّ، وقول رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، كما فهمه أهل الإسلام من علمائنا، من الصحابة، والتابعين، ومن الأئمة المتبوعين. وعلى هذا فكل ما كان منضبطًا بحدود الشرع فليس غلوًّا وإن أجمع الناس على تسميته غلوًا؛ ففي هذه الأيام نجد بعضًا مِمّن قلَّ علمهم، أو نقص فقههم، أو وُجِدت عندهم نيات غير صالحة، يصفون بعض الأمور الشرعية بالغلو، فمنهم من يعد تحريم المعازف وحجاب المرأة المسلمة من الغلو، والتحدث عن عفتها وعدم تبرجها وتجنب الاختلاط

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، (٣/ ٣٦٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، (٢٥٦).



المحرم تطرفًا وتشدُّدًا، ومنهم من يعد تطبيق الحدود غلوًّا، وكل هذه الأمور جاءت بها النصوص الشرعية، فهي من الدين، وليست من الغلو في شيء.





تاريخ الغلو

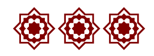
ليس الغلو وليد اللحظة، ولا حديث النشأة، ولكنه داء قديم من زمن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ: أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[(١)]، فغلوهم في الصالحين قادهم للخروج عن الدين.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن غلو اليهود في عزير فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] وأخبرنا بغلو النصارى في نبي الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (٦/ ١٦٠/ ٤٩٢٠).

بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠]، و أنبأنا القرآن عن غلوهم في الأحبار والرهبان، كما في قوله سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد بيَّن لنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صورة غلوهم وتجاوزهم واتخاذهم أرباباً من دون الله، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِك**، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَة، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] **حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**[1].



(١) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، (١٧/ ٩٢/ ٢١٨)، وحسنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٥، (ص:١٩، رقم:٦).



﴿ الغلو في الأمة الإسلامية ﴾

إن قافلة الغلو لم تُنهِ رحلتَها ولم تتوقف مسيرتها، بل حطت رحالها في العهد النبوي عندما ظهرت بعض صور الغلو، ولكن كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إدراكًا منه لخطورة الغلو في مسيرة خير الأمم- يحذر منه بقوة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا[(١)]، والمتنطعون هم الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وكان يبادر إلى علاجها، ويرشد إلى اتباع طريق السنة والاجتماع والائتلاف، وتجنب طرق أهل الغلو والفرقة والاختلاف؛ ففي الصحيح عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ

---

(١) صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٤/ ٢٠٥٥/ ٢٦٧٠).



وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)].

ومن ذلك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعليم أصحابه مناسك العبادات، نبههم إلى قضية الغلو وحذرهم منه أشد تحذير، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «**هَاتِ، الْقُطْ لِي**» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

ومن أشد صور التجاوز والتشدد والغلو ما كان في حضرة من جعله الله تعالى فرقانًا بين الحق والباطل، واعتراضًا على حكمه، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢/ ٥٠٦٣) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢/ ١٠٢٠/ ١٤٠١).

(٢) المجتبى من السنن = السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦، (٥/ ٢٦٨/ ٣٠٥٧)، وصححه الألباني.



اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ، مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «لاَ، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ[(١)] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ[(٢)] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ»[(٣)].

وقد كان ما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تتمة الحديث السابق: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) النصل: حديدة السهم، انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ، (٦/ ٥٨).

(٢) (رِصَافِهِ): عَصَبٌ يُلْوَى فَوْقَ مَدْخَلِ النَّصْلِ (نَضِيِّهِ): ... وَهُوَ مَا جَاوَزَ الرِّيشَ إِلَى النَّصْلِ ... (قُذَذِهِ) ... هُوَ جَمْعُ قُذَّةٍ بِضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ: رِيشُ السَّهْمِ. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٩/ ٣٧٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٣٨/ ٦١٦٣).

وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قَاتَلَهُمْ، فَالْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ثم إن الخوارج الغلاة قتلوا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعاودوا الخروج على المسلمين وعلى حكامهم خلال الدولتين الأموية والعباسية، وكثر فسادهم وعم شرهم، بل وقامت لبعض جماعتهم دول لسنوات، وكلما قضى المسلمون على فرقة منهم ظهرت فرقة، مصداقًا لما في الحديث: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**»[1].

فلكل عصر غلاته، ولكل زمان خوارجه، وغلاة زماننا حملوا راية سابقيهم، مكملين مظاهر الغلو، مشعلين نارًا لفح لهيبها البلاد والعباد؛ من تفسيق وتبديع وتكفير بغير حق، كانت ثمرته أحداث عنف وتفجير وتدمير وتفريق لجماعة المسلمين وتسليط للأعداء عليهم، كما هو معلوم مشاهد في كثير من بلاد المسلمين.

---

(١) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي (١/ ٦١/ ١٧٤)، وحسنه الألباني.



أسباب الغلو

تنبع أهمية دراسة أسباب ظاهرة الغلو - وغيرها من الظواهر بطبيعة الحال - من كون معرفة الأسباب وتحليلها وتفكيكها يساعد في وضع العلاج المناسب، ليكون التعامل معها مبنيًا على أسس واقعية بعيداً عن النظريات المجردة.

ومما لا شك فيه أن محاولة دراسة أسباب الغلو سيؤكد معنى كونها ظاهرة معقدة، نظراً لكثرة الأسباب وتشعبها، فمن أهم هذه الأسباب فيما نرى:

١) ضعف العلم والبصيرة بحقيقة الدين:

إن كان للعين بصر، فللقلب بصيرة يبصر بها الحقائق، وكما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف البصيرة، هي: (نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ، فَيَتَحَقَّقُ مَعَ ذَلِكَ انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْبَصِيرَةُ تَحَقُّقُ الِانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ وَالتَّضَرُّرُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْبَصِيرَةُ مَا خَلَّصَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ، إِمَّا بِإِيمَانٍ وَإِمَّا بِعِيَانٍ)[١].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن=



ومن حقائق الدين أنه مؤصل على قواعد التيسير ورفع الحرج، وعدم التشدد، ولذلك من أسباب الوقوع في الغلو عدم العلم المفضي للبصيرة بالحقائق، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، يُفَرِّقُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ).

وَقَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي أَوَّلِ مَا لَقِيَهُ: إِنِّي أَرَى اللهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩] وَمِنْ الْفُرْقَانِ النُّورُ الَّذِي يُفَرِّقُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَكُلَّمَا كَانَ قَلْبُهُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ كَانَ فُرْقَانُهُ أَتَمَّ)[(١)]، ولذا إن لم يتسلح العبد بالعلم الصحيح، فقد يقع قلبه فريسة للتطرف والغلو والتشدد، يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْبِدَعُ لَا تَقَعُ مِنْ رَاسِخٍ فِي الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا تَقَعُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَدِلَّتِهَا)[(٢)].

= أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ، (١/ ١٤٣).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (٤/ ١٩٩).

(٢) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: الشقير والحميد والصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ، (٣/ ٢٥٠).



٢) منهج إسقاط أهل العلم:

علماء الشريعة ورثة الأنبياء، وهم مع الحكام ولاة الأمر المقصودون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالظَّاهِرُ – وَاللهُ أَعْلَمُ –أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ)[١].

وإن من الأسباب التي تؤجج نار الغلو في المجتمعات الإسلامية، فتسري بين جنبات وأركان المجتمع كسريان النار في الهشيم، محاولات الغلاة الحثيثة لهدم ثقة الناس في علماء الأمة، مستخدمين كل ما أوتوا من قوة ووسائل وأساليب لتحقيق غرضهم ونيل منالهم، وذلك بالطعن والقَدْح فيهم واتهامهم بشتى أنواع التُّهَم، وَرَمْيهمْ بأصنافٍ من العظائم، مثل اتهامهم بالعمالة والجبن والمداهنة والنفاق، وأنهم علماء النظام، ونعال السلطان، أو وصفهم بأنهم علماء الحيض والنفاس، إلى غير ذلك من الأوصاف القبيحة والتهم المنفِّرة، والتي قد يغلفونها أحيانًا بغلاف الإرشاد والنصيحة، وبئس هذا المنهج منهج الشر والفضيحة.

---

(١) تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، (٢/ ٣٤٥).

ومآل منهجهم هو تحقيق ما حذر منه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[1]، وموت العلماء قد يكون بموت أجسادهم، ولكن الأخطر منه هو إماتة مكانتهم فيموت أهل العلم وهم أحياء، وتلكم بذرة في أرض خصيبة تنبت من التطرف والانحراف والضلال في العقائد والآراء ما لا يمكن لعقل صريح تصوره!! وتثمر من الفوضى واختلال الأمور في حياة الناس ما يحول الدنيا لثمرة حنظل مرٌّ طعمها.

٣) اتباع الهوى:

فمن اتبع الهوى ففي الإفراط والغلو أو التفريط والتمييع هوى، ولقد حذر الله جَلَّ وَعَلَا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وهم من هم - من اتباع الهوى، فقال جَلَّ وَعَلَا لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٠٠/ ٧٣٠٧).



يقول ابن القيم: (وقد أخبر سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيله)[1]؛ وذلك لأن الهوى يُحوِّل الرجلَ العالم في لحظة لطفل لا يدرك ما يصنع، ورحم الله ابن القيم لما قال: (ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهوى وإن أداه إلى التلف لضعف ناهي العقل عنده، ومن لا دين له يؤثر ما يهواه وإن أداه إلى هلاكه في الآخرة؛ لضعف ناهي الدين، ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن ثلم مروءته أو عدمها؛ لضعف ناهي المروءة، فأين هذا من قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: لو علمت أن الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته ؟)[2].

والخلاف في المسائل الشرعية من الأمور الواردة، ولكن إن كان اتباع الهوى هو الحاكم والقائد للأمور، فحدث عن التفسيق والتبديع والتكفير والتفجير، وكل ما لا يتصور من شر من الشرور، ورحم الله الشاطبي إذ يقعد قاعدة من قواعد فقه الخلاف بقوله: "فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا، وَلَمْ يُوَرِّثْ ذَلِكَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةً وَلَا بَغْضَاءَ وَلَا فُرْقَةً، عَلِمْنَا أَنَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ، وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ طَرَأَتْ فَأَوْجَبَتِ الْعَدَاوَةَ وَالتَّنَافُرَ

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٠٣ه، (ص: ٤٠١).

(٢) السابق (ص: ٤٧٠).

وَالتَّنَابُزَ وَالْقَطِيعَةَ، علمنا أنها ليست مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّهَا الَّتِي عَنَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَفْسِيرِ الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٩] ... فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي دِينٍ وَعَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، فَإِذَا اخْتَلَفُوا وَتَقَاطَعُوا، كَانَ ذَلِكَ لِحَدَثٍ أَحْدَثُوهُ مِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى)[١].

ومن شرور اتباع الهوى يبرز المنهج الانتقائي الهوائي: وهو منهج اجتزاء النصوص الشرعية حسب هوى الشخص وميله لقضية ما، ونهاية مطافه هو إثارة الفتن، فهذا الغالي الذي وصفته كتب السنة بقولها: (فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟**» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ...)[٢]، فهذا الغالي قد اجتزأ من الشريعة نصًا غير

---

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (٥/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧٤١/ ١٠٦٤).



متحققة حقيقته، لا لشيء إلا لباطل أراده وإن أخفاه، ولكم يتعجب الإنسان من ناصح بالتقوى لإمام المتقين وسيد المرسلين والمبلغ عن رب العالمين، ولكنه الهوى!

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَ نَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ»[(١)].

وحتى يتضح المقصود فمن هو الموجَّه له النصح؟ إنه من قيل فيه إنه أقضى الأمة فعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: (كَانَ عُمَرُ يَتَعَوَّذُ بِاللهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ)[(٢)]، ويَقُولُ عمر بن الخطاب: «أَقْضَانَا عَلِيٌّ»[(٣)]، وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٧٤٩/ ١٠٦٦).

(٢) فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٣، (٢/ ٦٤٧).

(٣) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (٧/ ٣٥٧/ ٧٧٢١).

إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تَبْعَثُنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ**»، قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ بَعْدُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ"[1]، فهؤلاء انتقوا من النصوص ما يثير بلبلة وفتنة، ولم ينظروا للنصوص الآمرة بالأخذ بسنة الخلفاء الراشدين ومنهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[2]، وهذا شأن الغلاة وديدنهم انتقاء ما يوافقهم وترك ما لا تستسيغه أهواؤهم ونفوسهم المريضة.

٤) الغَيرة المذمومة:

مما لا ريب فيه أن من أمارات الصحة القلبية، الغيرة الصحية المنضبطة بالقواعد الشرعية، وأعظم أنواع الغيرةِ الغيرةُ على دين الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالمؤمن يغار على حرمات الله أن تُنتهك، وعلى حدوده أن تُتجاوز، وعلى أحكام شريعته أن تُضيع، قال شيخ الإسلام ابن

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٧٤/ ٢٣١٠)، وصححه الألباني.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١، (٢٨/ ٣٦٧/ ١٧١٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٨/ ١٦٥).



تيمية: (ولهذا يُذم من لا غيرة له على الفواحش كالدَّيُّوث، ويُذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين، ويُمدح الذي له غيرة يدفع بها الفواحش، وحَمِيَّة يدفع بها الظلم، ويعلم أن هذا أكمل من ذلك.

ولهذا وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرب بالأكملية في ذلك، فقال في الحديث الصحيح: «**لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظَهَر منها وما بَطَن**»، وقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ أنا أغير منه، والله أغير مني**»[(١)])[(٢)]

وقد وصف ابن القيم غيرة المؤمنين هذه بقوله: (فهذه غيرة المحبين حقا وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به واستحل محارمه وعصى أمره وهذه الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه... والدين كله في هذه الغيرة بل هي الدين وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغيرة ومتى

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٣٥) واللفظ له، صحيح مسلم (٢/ ١١٣٦/ ١٤٩٩).

(٢) الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، الطبعة ١٤٠٣، (ص: ٥٣).

خلت من القلب خلا من الدين فالمؤمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن له كما يحب والغيرة تصفي القلب وتخرج خبثه كما يخرج الكير خبث الحديد)(١).

ولكن ليست كل غيرة في الشريعة محمودة، ويحدثنا صحابي جليل عن صورة من صور الغيرة التي أنكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن جُنْدَبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيّ أنه قال:(إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمْ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَقَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٩٤).



قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «**كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]، إن المتأمل لهذا الأثر بعين الاعتبار يدرك أن وبال الغيرة غير المحمودة أكبر من نفعها، فهذا أسامة -حِبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنُ حِبِّه زيد بن حارثة - غارت نفسه، وحمي قلبه لما رأى هذا الرجل يقتل المسلمين، فتجاوز حدًّا من حدود الله، فلم تشفع له هذه الغيرة في ترك الإنكار عليه، فما الظن بمن هو دونه؟

فالغيرة على الدين، والحماسة له لا تكفيان ولا تقبلان حتى تنضبطا بضوابط الشرع.

وإن كثيرًا من الشباب الذي يتجه للغلو يكون دافعه لذلك في بادئ الأمر هو الغيرة على حرمات الله، والغيرة على المضطهدين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فلا يهتدي لطريق يستطيع به إزالة ما يرى إلا طريق الغلاة الذين يزيدون حماسته، ويضربون على وتر العاطفة حتى يوقعوه في حبالهم، وهذا من وسائلهم عبر العصور، ومن صور ذلك نشر الحكايات والرؤى والمنامات، فيزعمون كذبًا وزورًا رؤية غرٍّ منهم ممن اعتدى وخرج عن الحدود الشرعية كمن أكثر القتل حتى سبح في دماء

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٧/ ٩٧).

محترمة معصومة كأنه يسبح في أنهار الجنة، أو أن الحور العين تعانقه، أو أن الملائكة ويقودهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ معهم مقاتلون، وغير ذلك من الشائعات والادعاءات التي أساسها الكذب أو الوهم والتلبيس من الشيطان، نسأل الله لنا وللمسلمين السلامة.

٥) التكوين النفسي للغالي:

وهو ما يظهر لمن يحتك بكثير من هؤلاء عن قرب، في صورة أمراض وآفات نفسية كالأنانية والأثرة وحب النفس والعجب، والكبر، و الحسد، وهذه الأمراض كافيةٌ لصد صاحبها عن كل خير، وفي الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[(١)]، فمثقال الذرة من الكبر كفيلة بحجب صاحبها عن الجنة وأهلها وصفاتهم، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة الكبر، فقال: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(٢)]. فترى الواحد من هؤلاء الغلاة مهما سيقت له من حجج وبراهين وبُيِّن له فساد ما هو فيه، يمضي سادرًا في غيه، لا يرفع بما يلقى إليه من الحق رأسًا.

ومنهم من لا يكون متكبرًا لكنه يكون حاد الطباع، فيوافق

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٣/ ٩١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٩٣/ ١٤٧).



الغلو طبعه فيميل إليه، أو ذا طبيعة منغلقة، فيصعب الحوار معه أو الوصول إلى نقطة توافق والتقاء ليرجع عن غلوه.

٦) البيئة الفاسدة:

البيئة تؤثر في أهلها، صالحة كانت أو فاسدة، وما القلوب إلا كالإسفنج يتشرب ما يغمس فيه، ولذا حذر القرآن من مجرد مجالسة الخائضين في دين رب العالمين يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وهذا أمر للمؤمن بأن يتجنب ويبتعد عن المشككين وأهل الانحراف والتأويل الباطل وأصحاب الهوى؛ فلا ينبغي مجالسة الغلاة والسماع منهم فإن الفتن خطافة والقلوب ضعيفة، وليس الأمر قاصرًا على مجالسةٍ بأبدان، ولكنه يشمل كل غمس للقلب في البيئات الفاسدة من لقاءات مباشرة، ومشاهدة عبر الشاشات، ومتابعةٍ للخائضين عبر الصفحات الإلكترونية والمدونات.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ

ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[(١)].

ولذا حثت الشريعة المسلمَ على حسن انتقاء الرفقة المصاحبة وحذرت من رفقة السوء، فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[(٢)].

وليس هناك أسوأ وأضر على الشاب من رفقة الغلاة، تحرق كلماتهم قلوبًا صافية، وتدمر عقيدة نقية.

٧) محاربة الدين وتغييب الشريعة وعلو صوت المفسدين:

ويتمثل ذلك فيما نراه في بعض البلاد الإسلامية من غياب تحكيم الشريعة، وما يقوم به أعداء الدين الذين يسعون إلى قتل كل فضيلة، ونشر كل رذيلة، ومحاربة الحسبة والدعوة وأهلهما،

(١) صحيح البخاري (٦/ ٣٤/ ٤٥٤٧).
(٢) صحيح البخاري (٧/ ٩٦/ ٥٥٣٤)



فلا تخفى تلك الهجمة الشرسة على الدين وثوابته التي يمارسها العلمانيون والليبراليون وغيرهم من المنحرفين، والسخرية من المتدينين ومظاهر التدين في الإعلام، ومحاربة الدعاة والمصلحين والتضييق عليهم وتكميم أفواههم ومحاصرة الأنشطة الدعوية في تلك البلاد، وانتشار الفساد والانحراف عن الدين في المجتمع دون نكير.

فنجد أناسًا من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قد أخطأوا وضلوا عن الطريق المستقيم، فحملوا راية الإفساد والتغريب، وحاربوا التدين والالتزام، ورفعوا أصواتهم بدعوتهم إلى تحرير الإنسان من كل سلطة إلا سلطة الهوى وحب الشهوات، ولئن سُمع لهم فسينشأ جيلٌ لا بدينه اهتدى، ولا لمجتمعه انتمى، وإنما هي جزر مستقلة، صورتها الخارجية صورة إنسان، لكنه بلا هدف ولا غاية، وإنما تحركه الملذات والشهوات، وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧].

ولا زلنا نُفجع بين الفينة والأخرى بفكرة مدمرة، يطلقها ظلامي من أهل الظلام وإن ادعى أنه تنويري

وكلٌ يدعي وصلاً بليلى   وليلى لا تقرُّ لهم بِذَاكا[١]

وهذه الأفكار التغريبية المظلمة المدمرة من شأنها أن تثير غضب وحماسة وعاطفة كل محب لدينه ووطنه، ولا شك أن تلك الأفكار وما تفرزه من ممارسات تحارب الدين تُعدُّ نوعًا من أنواع الغلو، وكما يقال: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، فهي تجعل بعض الشباب صغير السن قليل العلم والتجربة لقمة سائغة يلتهمُها الغلاة مستغلين غضب الشباب على هذا التطاول على الدين وثوابته وقيم المجتمع الراسخة، فيسهل أن يقع بعض الشباب ضحايا لخطاب الغلو المضاد، فيُبَدِّعون ويُفَسِّقون ويُكَفِّرون بدون وجه حق، ثم يُدَمِّرون ويُفَجِّرون.

فمما لا ريب فيه أن حركات التغريب تؤذن بغياب منهج الاعتدال والوسطية، ومتى غابت الوسطية ظهر الغلو والتشدد، وظهرت البدع والأساطير والخرافات، وكثر الانحراف العقدي والفكري، وفسدت السلوكيات والمعاملات.

---

(١) الشفاء في بديع الاكتفاء، محمد بن حسن بن علي بن عثمان النَّوَاجي، شمس الدين، تحقيق ومراجعة: الدكتور محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣، (ص: ٩٥).



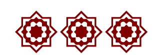
٨) العدوان الخارجي على الأمة:

فإن ضغط الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الإسلامية وتكالب أمم الشرق والغرب عليها ومحاولة إضعافها وسلب خيراتها، والعدوان الهمجي على الشعوب الإسلامية، والجرائم البشعة التي ترتكب بحق الآمنين والشيوخ والنساء والأطفال؛ في فلسطين وسوريا والعراق وبورما وأفريقيا الوسطى وأفغانستان وغيرها، كل هذا يملأ قلوب الشباب غضبًا وحنقًا، وقد يولد لديهم سخطًا ويأسًا، فيقرر الفرار للغلو وهمًا منه أنه الحل لما يراه ويعاني منه، فما أسهل أن يستغله الغلاة والأعداء لتوظيف الشباب بطرق ملتوية في مشروع الغلو بحيث يصبحون مطية للعدو لتحقيق أهدافه دون أن يشعروا.

٩) الظلم:

إن كثيرًا من حركات الغلو المعاصرة كانت بذرة نشأتها في السجون، حيث تعرض أعضاء هذه الحركات لكثير من أعمال القهر والتعذيب، الذي ربما أفضى ببعضهم للقتل، وهذا واضح جدًا في الحالة المصرية، حيث نشأت بعض حركات التكفير والغلو في سجون عبد الناصر، كردة فعل على الظلم في تلك السجون، وما زال الظلم سببًا من الأسباب الرئيسة لانخراط بعض الشباب مع

حركات الغلو واقتناعهم بأفكارهم، حيث يكون انخراطهم هذا بمثابة رد فعل على ما وقع لهم أو لأحد معارفهم أو أقاربهم من ظلم واضطهاد.





سؤال ومكاشفة

إذا سلمنا بكل ما سبق، فلا بد لنا هنا من سؤال ومكاشفة: فهل وجود كل هذه الأسباب المفسِّرة لجنوح الغلاة للغلو، يعني أنها تصلح مبررًا يعفيهم من تبعات اختيارهم لهذا الطريق المنحرف، أو سببًا للتسامح معهم، فضلًا عن التعاطف معهم ومحاولة التماس الأعذار؟

قد يكون الجواب بالنفي مُسَلَّمَة من المسلمات عند كثيرين، لكننا للأسف نجد أن الأمر ليس كذلك عند بعض الناس، وإن كانوا بحمد الله قلة ولا يشكلون أغلبية.

إن الدافع لهذا التهاون من هؤلاء، والدافع لهذا الخلط بين التفسير والتبرير دافع عاطفي محض؛ فهم من جهة يرون بعض تلك الأسباب أكبر من أن يحتملها كل أحد، بل إنهم أنفسهم يتألمون من بعضها ويشعرون بالعجز حيالها، فكيف بشاب حدث السن قليل العلم! ومن جهة أخرى يشفقون على هذا الشباب الغِرِّ الذي ضل عن سواء السبيل ويتألمون لحالهم، مما يجعلهم يتعاطفون معهم، ومن جهة ثالثة - ولعل هذا أكبر الدوافع - فإنهم يلمسون من هذا الشباب حرقة حقيقية على الدين والأمة، ويحسنون الظن

بهم أنهم ما أرادوا إلا خيراً، كتحكيم الشريعة ونصرة المستضعفين وغيرها من الشعارات التي يرفعونها.

إن مما لا يمكن إغفاله أن ديننا أعطى كل شيء حقه وقدره، ومن هذه الأمور المعتبرة شرعًا مراعاة العاطفة الإنسانية؛ لكن الشرع لا يتسامح مع أفعال غير مضبوطة بهدي الكتاب والسنة ومقاصد الشرع وضوابط المصلحة الشرعية وإن كان دافعها عاطفة جياشة للدين.

ولا شك كذلك أن من الأمور المعتبرة شرعًا بل المحمودة المطلوبة -كما سبق- الغيرة على شرع الله وعلى حرماته أن تنتهك، لكن الحرقة والحمية -وحدها- لا تدل على الغيرة المحمودة، فضلًا أن تدل على صواب عمل صاحبها، ففي الحديث الصحيح عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**» فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ**



النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»[1].

فكم من صاحب مخالفة عقدية أو بدعة سلوكية يكون من أشجع الناس في الدعوة لها والتضحية في سبيلها، وتاريخ الأمة زاخر بأمثال هؤلاء، فهل كانت شجاعتهم وحماستهم وعاطفتهم منقذًا لهم من وصفهم بالخطأ والضلال؟



(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٣/ ٦٤٩٣).

طرق إزالة اللبس بين التفسير والتبرير

إن الفصل بين التفسير والتبرير، وإزالة اللبس والخلط الحاصل في هذه المسألة عند البعض يمكن أن يكون بأكثر من طريق:

الأول - بيان الهدي النبوي في معاملة الغلاة:

وهو أعظم طريق وأولاه؛ بأن نذكِّر من اختلط عليهم الأمر بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع سلف هؤلاء الغلاة، ومعلوم أننا مأمورون عند التنازع في الأمور بالرد لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وإذا رجعنا إلى العلاج النبوي لمن بلغ به الغلو حدَّ الخروج على المسلمين وقتالهم، فسنجد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)]، وقوله: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(٢)]، قال الحافظ: (أَيْ قَتْلاً لاَ يُبْقِي مِنْهُمْ

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٠١) ٣٦١١، صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦) ١٠٦٦.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٣٧) ٣٣٤٤، صحيح مسلم (٢/ ٧٤١) ١٠٦٤.



أَحَدًا، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[(١)]، فهذه الدعوة للأمة لقتلهم حيث وُجِدوا، وهذا العزم على الاستئصال، مُشعِر بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تأخذه بهم رأفة البتة، ولم يلتمس لهم أي عذر، رغم أنه وصفهم قبلها بقوله: «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ»[(٢)]، وقال فيهم: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ»[(٣)].

وقد سار أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هديه، فهذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقتلهم يوم النهروان قتلاً ذريعًا، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيَّالة الذين قدَّمهم عليٌّ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتِل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، (٦/ ٣٧٧).
(٢) صحيح البخاري (٤/ ٢٠١) ٣٦١١.
(٣) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠) ٣٦١٠، صحيح مسلم (٢/ ٧٤٤) ١٠٦٤.

وعبد الله بن سخبرة السلمي، قبحهم الله)[1]، (وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ [أي جيش علي] يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ)[2].

وليس القصد من هذا الكلام أن يكون التعامل مع كل غالٍ بالقتل - معاذ الله - وإنما القصد أن العاطفة لا مكان لها هنا، فالمسيء الصائل على المسلمين بالقتل والتكفير يلقى جزاءه المستحَق، ولا يشفع له ما يظهر عليه من علامات صلاح ولا حسن قصد إن نهج هذا المنهج الرديء.

فمن سفك الدماء المعصومة فعلاجه السيف النبوي، أما من لم يقع في سفك الدم الحرام فقد اختلف التعامل معه، كذلك الرجل الذي قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعدل**» فقد أنكر عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله هذا، لكنه لم يأذن بقتله لمن استأذن في ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا الرجل قد نص القرآن أنه من المنافقين بقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي يعيبك ويطعن عليك وقوله للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعدل واتق الله بعدما خص بالمال أولئك الأربعة نسب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أنه جار

---

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، (٧/ ٣٢٠).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧٤٨) ١٠٦٦.



ولم يتق الله ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟

ومثل هذا الكلام لا ريب أنه يوجب القتل لو قاله اليوم أحد وإنما لم يقتله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كان يظهر الإسلام وهو الصلاة التي يقاتل الناس حتى يفعلوها، وإنما كان نفاقه بما يخص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذى وكان له أن يعفو عنه وكان يعفو عنهم تأليفا للقلوب لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقد جاء ذلك مفسرا في هذه القصة أو في مثلها)[١]، وهذا ما فعله علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث (جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ... مَرْجِعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ لَيَالِيَ قُتِلَ عَلِيٌّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ: وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكِ؟ قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَّمَ الْحَكَمَيْنِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلافٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حَرُورَاءُ، مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ص:٢٢٨.

قَمِيصٍ أَلْبَسَكَهُ اللهُ تَعَالَى، وَاسْمٍ سَمَّاكَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ، فَلا حُكْمَ إِلا لِلَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنِ امْتَلاتِ الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾، فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنَ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ. وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**». فَقَالَ: سُهَيْلٌ لَا تَكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: «**كَيْفَ نَكْتُبُ؟**» فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**» فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَمْ أُخَالِفْكَ. فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ



عَبْدِ اللهِ قُرَيْشًا. يَقُولُ: اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ. فَقَامَ خُطَبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَاللهِ لَنُوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ اللهِ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ. فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللهِ الْكِتَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ، إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمِ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آللهُ؟ قَالَ: آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ)[1]

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٨٤-٨٦/ ٦٥٦)، قال محققوه: إسناده حسن.

فأول سبيل في التعامل مع هؤلاء هي وعظهم وتذكيرهم ومناصحتهم ومناظرتهم، يقول العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على أخطائهم وقلدهم غيرهم في ذلك وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله عليه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ (سورة البقرة: ١٥٩)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ (سورة البقرة: ١٦٠)، وقد أخذ الله على علماء أهل الكتاب الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه وذمهم على نبذه وراء ظهورهم وحذرنا من اتباعهم، فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين)[١]. فأما إن لم تُجدِ المناصحةُ مع هؤلاء ولم يجد التذكير وسلُّوا السيف على الأمة فليس لهم إلا السيف.

فتذكير المبررين بهذا الهدي النبوي، وهدي الخليفة الراشد علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ومطالبتهم بالرجوع لهذا الهدي هو أول طريق تُسلك معهم، كي لا يخلطوا بين التفسير والتبرير.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (٣/ ٧٢-٧٣).



❁ الثاني: بيان أن صلاح القصد ليس مبررًا لسوء العمل:

إن صلاح القصد - إن سلمنا به - لا ينبغي أن يجعل أي أحد يبرر لمن كفَّروا المسلمين بغير حق، واستحلوا دماءهم المعصومة، وأزهقوا الأنفس المحترمة، أو حرضوا على ذلك أو أيدوه أو رضوا به، فالنية الصالحة لا تصحح العمل الفاسد، وإن إطلالة على تعامل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع من غلوا في العبادات رغم أنهم ما ضروا أحدًا، وما فعلوا معصية، ولا قتلوا ولا خربوا، ولكنهم زادوا على الطاعات عملًا - وليس اعتقادًا - على ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تبين أن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينظر لنية إرادة الخير واكتفى بها، وإنما أنكر فعلهم وشدد عليهم، فكان التعامل معهم كما ثبت في الصحيح عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ**

سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن أقوام أحسنوا النية والقصد، ولكنهم أساؤوا الأعمال فلم تنفعهم نيتهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَيْ: عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ أَيْ: يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ مَحْبُوبُونَ. فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا، وَأَنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ، وَهُوَ مُخْطِئٌ، وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ)[(٢)]، والخوارج من هؤلاء؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُمُ الْحَرُورِيَّةُ[(٣)].

وفي أثر عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور قال له أصحاب الحِلَق الذين أتوا بطريقة مبتدعة في الذكر، فكانوا يذكرون الله تعالى لا يذكرون غيره ولكن يذكرونه بطريقةٍ غير شرعيّة، وعلى

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢/ ٥٠٦٣)، صحيح مسلم (٢/ ١٠٢٠/ ١٤٠١)، واللفظ للبخاري.

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٢)، بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٢)، والحرورية هم الخوارج؛ سموا بذلك لاجتماعهم في بلدة قرب الكوفة يقال لها حروراء، ومنها مبدأ خروجهم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



كيفيّةٍ غير نبويّة: (وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَه»)، وهذا هو الشاهد، ثم قال لهم: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا «أَنَّ قَوْمًا يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ)[1]، ومما يلاحظ أن هؤلاء القوم قد وقعوا في الخروج عن الصراط والسنة في العبادة، لكن خروجهم لم يتوقف عند هذا الحد حتى قادهم للغلو التكفيري فخرجوا على المسلمين وقاتلوهم، وهكذا الغلو لا يأتي إلا بالغلو والشر.

يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما المنهيات فلا، فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات)[2]، ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المعاصي لا تتغير

(١) مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢، ١ / ٢٨٦/ ٢١٠، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٥ / ١٢/ ٢٠٠٥.

(٢)

عن موضعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «**إنما الأعمال بالنيات**» فيظن أن المعصية تَنْقَلِبُ طَاعَةً بِالنِّيَّةِ كَالَّذِي يَغْتَابُ إِنْسَانًا مُرَاعَاةً لقلب غَيْرِهِ أَوْ يُطْعِمُ فَقِيرًا مِنْ مَالِ غَيْرِهِ أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطـًا بِمَالٍ حَرَامٍ وَقَصْدُهُ الْخَيْرُ فَهَذَا كُلُّهُ جَهْلٌ وَالنِّيَّةُ لَا تُؤَثِّرُ فِي إِخْرَاجِهِ عَنْ كَوْنِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَمَعْصِيَةً بَلْ قَصْدُهُ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الشَّرْعِ شَرٌّ آخَرُ فَإِنْ عَرَفَهُ فَهُوَ مُعَانِدٌ لِلشَّرْعِ وَإِنْ جَهِلَهُ فَهُوَ عَاصٍ بِجَهْلِهِ إِذْ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَالْخَيْرَاتُ إِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُهَا خَيْرَاتٍ للشرع فكيف يمكن أن يكونَ الشرُ خيرًا هيهات)[١].

الثالث: بيان أنه لا تلازم بين الظاهر والباطن:

مما هو معلوم أنه لا تلازم بين صلاح الظاهر والباطن، بل لو قيل إن هؤلاء لو كانت نيتهم خالصة لله عَزَّوَجَلَّ لما وقعوا في هذا الانحراف الشنيع لكان وجيهـًا، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد: ١٧]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَيْ: وَالَّذِينَ قَصَدُوا الْهِدَايَةَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لَهَا فَهَدَاهُمْ إِلَيْهَا، وَثَبَّتَهُمْ عَلَيْهَا وَزَادَهُمْ مِنْهَا، ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أَيْ: أَلْهَمَهُمْ رُشْدَهُمْ)[٢].

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة – بيروت، (٤/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣١٥).



ويُستأنس لهذا بأنه لا توجد فرقة ورد فيها من الذم والتحذير من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كهذه الفرقة، ولا توجد فرقة أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باستئصالها إلا هم، وهذا يشعر أنهم ليسوا على شيء في الباطن، ولهذا قال فيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١)، قال الحافظ ابن حجر: «**الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالنُّطْقِ لَا بِالْقَلْبِ**»(٢).

ومما جاء في هذا المعنى عن التابعين أن رجلًا من الخوارج أتى الحسنَ البصريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له: «ما تقول في الخوارج؟ قال: هم أصحاب دنيا. قال: ومن أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: حدِّثْني عن السلطان؛ أيمنعُكَ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة؟ قال: لا، قال: فأراه إنما منعكَ الدنيا فقاتلتَه عليها»(٣).

وإن من البلاء أن البعض يقصر حكمه على المظاهر فحسب، مع أن كثيرًا منها قد يكون خدَّاعًا؛ ولقد نبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خطورة الانخداع بالمظاهر التي لا حقائق تحتها، فعن سهل بن

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٦) ٦٩٣٠.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٨٨).

(٣) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، ١/ ١٥٦.

سعد الساعدي قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[١]، و الأمر هنا واضح؛ بأنَّ النظرة الظاهرية لا تكشف عن حقيقة الشخصية؛ بل قد يكون ظاهر الشخص ينبئ عن الخير، لكن حقيقته غير ذلك، ويعرف هذا من أعماله؛ من سب وشتم وقذف وكذب وأكل أموال الناس بالباطل، فضلا عن سفك الدم الحرام، وفي أمثال هؤلاء يتحقق حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٢].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٨/ ٥٠٩١).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧/ ٢٥٨١)



فهذه صورة رجل يتكرر في كل زمان ومكان، وكم من أمثاله في زماننا هذا، فيظن كثيرون بمعيارهم القاصر أنه صاحب دين، وكيف لا يكون كذلك وهو مصلٍّ صائمٌ مزكٍّ، ولكن الحكم في مثل هذه الأمور، هو حكم رب العالمين، فقد حكم فيهم بأنهم مفلسون وإن صلوا وصاموا وزكوا.

وكذلك بيَّن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأجسام، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال، فقال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»[(١)]، وقال أيضًا: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[(٢)].

وفي موقف عجيب تحكيه لنا كتب السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَة يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»[(٣)]. فهذا مقياس وميزان،

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦/ ٢٥٦٤).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٧/ ٢٥٦٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٥/ ٤٢١/ ٩٦٧٤).

يحدده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا، فلا عبرة بعبادة الجوارح إن كانت لا تؤثر في القلب وتنعكس على أداء الحقوق، فهذه صورة ظاهرة لا حقيقة لها. ولئن كان مآل المرأة الصوامة القوامة المتصدقة التي تؤذي باللسان أنها من أهل النار، فما الظن بمن قتل، وفجَّر، ودمَّر، وخرَّب، وأفسد في الأرض فسادًا تجاوز حدود الجيران ليشمل أمة الإسلام؟ فكيف يمكن رغم كل هذا أن يبرر البعض لهؤلاء أعمالَهم؟!

ولقد خاطب الله عَزَّوَجَلَّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله في حق المنافقين، ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾ [المنافقون: ٤]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَسِيمًا جَسِيمًا صَحِيحًا صَبِيحًا ذَلِقَ اللِّسَانِ، فَإِذَا قَالَ سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ. وَصَفَهُ اللهُ بِتَمَامِ الصُّورَةِ وَحُسْنِ الْإِبَانَةِ)[1]، وفي حديث زيد بن أرقم، قال: (وقَوْلُهُ: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ)[2]،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، (١٨/ ١٢٤- ١٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٠).



وفي الصحيح يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتَّى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان**»[(١)]، ويعلق أبو المظفر الشيباني قائلاً: (أي أنه كانت جلادته وظرفه لغير الله ولم يكن في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)[(٢)].

والمقصود أن الظاهر قد لا يعطي الحقيقة عن شخصية ما، بل ربما يكون الظاهر غلافًا حسنًا لكنه يخفي وراءه كل شر، فلا ينبغي أن يخدع أحد بالظاهر ويبرر أفعال الإجرام بحجة صلاح الباطن أو حسن القصد والنية!

❁ الرابع: إلزام أهل التبرير بالتبرير للعصاة والملاحدة:

إننا لو بحثنا فسوف نجد لكل انحراف عن الشرع المطهر - إن للإفراط أو التفريط - أسبابًا متعددة؛ فهل سنلتمس لكل المنحرفين الأعذار، ونعد تلك الأسباب مبررات يلزم منها التهاون والتسامح مع المنحرفين؟

إن واقع من اختلط لديهم تفسير الغلو بالتبرير للغلاة يُكَذِّبُ

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٤/ ٦٤٩٧)، وصحيح مسلم (١/ ١٢٦/ ١٤٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، (٢/ ٢١٣).

ذلك؛ فإننا لم نسمع لهم تبريراً لبعض الشباب الذين يقع منهم فساد أخلاقي عريض، سواء بشرب المسكِر أو المخدِّر أو المشاركة في الحفلات الماجنة أو الوقوع في الفاحشة والعياذ بالله، بل نجدهم ينتفضون ضد هذه المنكرات ويطالبون الجهات الرسمية بالتصدي لها بحزم وقوة، مع أن الأسباب للوقوع في كل ذلك متوفرة؛ من قوة الشباب وفتوته، وضعف الرقابة الأُسْرية والمجتمعية، ووفرة المال، والقنوات والمواقع المفسدة التي تغسل عقول الشباب صباح مساء، وتبرج بعض الفتيات وسفورهن وتهاونهن، فلماذا الكيل بمكيالين؟

ونقول مثل ذلك في ظاهرة الإلحاد؛ فلا شك أن انجرار قلة من شبابنا للإلحاد له أسبابه الخارجية، مثل انتشار المواقع والقنوات ووسائل التواصل التي تروج للإلحاد، وسهولة وصول الشباب إليها، ومثل الاستهداف الكبير لشبابنا من قِبَل جهات خارجية تريد أن تصرفه عن دينه، ومثل انتشار الكتب والروايات التي تدعو للإلحاد أو تُزيِّنه وتُجمِّله، ومثل همز ولمز بعض الكتاب المشهورين في ثوابت الدين وتشكيكهم في أصوله وفروعه، ومثل عدم تطبيق حد الردة على الملحدين بل استضافتهم وتلميعهم في بعض القنوات الفضائية العربية مما يجرئ غيرهم، إلى غيرها من الأسباب.



فنحن لم نسمع لأولئك المبررين للغلاة دعوات للتسامح مع هؤلاء الملحدين، وتقدير الملابسات والظروف، ومراعاة الأسباب التي دعتهم للإلحاد، ولم نسمع منهم خلطًا بين تفسير الظاهرة بوجود هذه الأسباب وبين التبرير للملاحدة، بل إنهم يطالبون بإنزال أقسى العقوبات بمن ثبت وقوعه في الإلحاد، بغض النظر عن أسباب انحرافه. فمرة ثانية، لماذا الكيل بمكيالين؟

إنَّ خطر الإلحاد لا شك عظيم، ولا يمكن لعاقل أن يقلل منه، فهو من أعظم المنكرات لأنه يتعلق بأساس الدين وأعظم غاياته وما يدعو إليه وهو توحيد الله وعبادته، فيأتي الإلحاد لينكر وجود الله ابتداءً، وهذه جريمة كبرى لا يمكن السكوت عنها أو التهاون بشأنها، لكننا لو نظرنا إلى ضرر كل من الظاهرتين على المجتمع والأمة فلن نشك أن ضرر الغلو أعظم بكثير، فإن ضرر الإلحاد غالبًا غير مُتَعَدٍّ، ونسبة الملحدين في مجتمعاتنا المسلمة لا تكاد تذكر، ولا يوجد لهم ذلك النشاط الذي يترك آثاره العميقة على المجتمع؛ وأما الغلو فإن خطره منذ القديم يطال الكثيرين، يقول ابن كثير عن قرار علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتال الخوارج قبل التوجه بجيشه إلى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأهل الشام: «فَاجْتَمَعَ الرَّأْيُ عَلَى هَذَا، وَفِيهِ خِيَرَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُمْ وَلِأَهْلِ الشَّامِ أَيْضًا؛ إِذْ لَوْ قَوُوا هَؤُلَاءِ لَأَفْسَدُوا

الْأَرْضَ كُلَّهَا عِرَاقًا وَشَامًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا طِفْلًا وَلَا طِفْلَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُمْ قَدْ فَسَدُوا فَسَادًا لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ جُمْلَةً»(١).

وما أشبه الليلة بالبارحة! فلا يكاد يوجد مجتمع من المجتمعات المسلمة اليوم إلا ويعاني من الغلو وآثاره؛ من تفريق الكلمة، وإثارة العداوات والنزاعات، والتكفير غير المنضبط بضوابط الشرع، واستحلال الأموال والدماء، والقيام بأعمال التفجير والتدمير، وتسليط الأعداء على الأمة التي يزعم الغلاة أنهم ما قاموا إلا لنصرتها والدفاع عنها، وجلب جيوش الكفر إلى بلاد المسلمين وانحسار تطبيق شرع الله فيها، بسبب الافتئات على الأمة وزجها في حروب لا طاقة لها بها، والتضييق على العمل الإسلامي، وتشويه الجهاد، والتسلط على المجاهدين الصادقين، إلى غير ذلك.

فكيف بعد كل هذا تُلتمس الأعذار للغلاة وتُبرر لهم أفعالهم؟!

❁ الخامس: بيان مآلات الغلو:

إن لمآلات الأفعال دورًا كبيرًا في الحكم على الأفعال، وكما يقول العلامة الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّظَرُ فِي مَآلَاتِ الْأَفْعَالِ مُعْتَبَرٌ

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (١٠/ ٥٨٤).



مَقْصُودٌ شَرْعًا كَانَتِ الْأَفْعَالُ مُوَافِقَةً أَوْ مُخَالِفَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُجْتَهِدَ لَا يَحْكُمُ عَلَى فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْإِقْدَامِ أَوْ بِالْإِحْجَامِ إِلَّا بَعْدَ نَظَرِهِ إِلَى مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ)[(١)]، وبالنظر لمآلات الغلو وآثاره تظهر الحقيقة، ويتجلى لمن اختلط عليه الأمر وبال هذا الفكر، ويظهر لمن خلط بين التفسير والتبرير، أنه شريك بدرجة أو أخرى في هذه الآثار، ويتحمل مسؤولية من اغتر بتبريره واختار المضي في طريق الغلو.

فمن آثار الغلو ومآلاته:

١) تقسيم المجتمع الواحد:

إن أصحاب الغلو يقودهم داؤهم لتصنيف المخالفين لهم ولو في فروعٍ يسع فيها الخلاف إلى تصنيفات تفرق جسد الأمة الواحدة والمجتمع الواحد، وليت الأمر يتوقف عند التصنيف لكنه يتطور إلى التبديع والتفسيق والتكفير غير المنضبط بالضوابط الشرعية، وعندها تتفرق الأمة شيعًا متناحرة بدلًا من الاعتصام والائتلاف، في زمان ائتلف فيه أهل الكفر من مختلف الملل وتناسوا ما بينهم لتحقيق مصالحهم.

---

(١) الموافقات (٥/ ١٧٧-١٧٨).

والغلاة يُبرِزون الأخطاء ضخمةً جسيمةً، ويخلطون بين المراتب، يخلطون بين الصغيرة والكبيرة والفعل الكفري، ويجعلون من الفرع أصلًا بل أصولًا، ويأتون إلى مسائل فيزعمون أنها حدٌّ فاصل بين الإيمان والكفر تارة، وبين عصمة الدم وإهداره تارة أخرى، فيكفرون مخالفهم في مسألة ما، ولا يتوقفون عند حد تكفير المخالف فحسب، بل يُقعِّدون قاعدةَ تفريقٍ للأمة، فمن وافقهم فيما قالوه فهو المؤمن كامل الإيمان معصوم الدم والمال، ومن خالفهم فهو كافر أو فاسق يهدر دمه وماله، فيصير المجتمع شيعًا.

■ ٢) إهدار جهود كبيرة من أمة تنزف:

ولو لم يكن للغلو إلا هذا الأثر لكان كافيًا لكل ذي عينين أن يدرك خطورة أمر الغلاة، وأن يعي ضراوة شرورهم، فلا يلتمس لهم الأعذار، ولا يختلق لهم التبريرات، ففي ظل الظروف التي تمر بها الأمة كان ينبغي أن توجه كل الجهود لبناء أمة إسلامية قوية، وأن توجه لنشر الدعوة الإسلامية الإصلاحية الصحيحة بين أرجاء المعمورة، فإذا بالجهود والأموال والأوقات والعلماء تصرف لعلاج الغلاة أنفسهم، ولمداواة آثارهم التي عمت وطمت، وكذلك توجه لوقاية المسلمين من شرورهم، ويترتب على ذلك إشغالٌ لموارد الأمة، فبدلًا من أن توجه للبناء والارتقاء، فإذا بها



تصرف لمجرد محاولة الحفاظ على البنية الأساسية للأمة، وإلى الله المشتكى.

■ ٣) تخويف الناس من التدين والمتدينين:

من أخطر آثار الغلو، استغلال أعداء الدين للغلاة وأعمالهم الشنيعة لرسم صورة ذهنية وهمية ليست بالحقيقية لأهل الدين، صورة مضمونها التخويف والتنفير من التدين وأهله، وبالتالي صرف الناس عن الدين ووقوعهم أسرى للشبهات والشهوات، وهو مؤذن بفساد في المجتمع عريض، فلو أدرك المبررون أثر الغلاة في الصد عن الدين، وأن أثرهم أعظم تأثيرًا من أعداء الدين الذين يظهرون حربَه، لكانوا أول المواجهين للغلو وأهله.

■ ٤) ضعف الأمن والأمان أو انعدامه:

إن نظرة للدول التي اكتوت بنار الغلو والتشدد، فانفرط عقد أمنها وأمانها، فانتشرت فيها التفجيرات، والاغتيالات، التي نالت كل شيء، فلم تفرق بين رجل وامرأة، ولا كبير وصغير، ولا معصوم الدم وغيره، لكفيلةٌ أن توقظ المبررين من غفلتهم وتبصرهم بخطورة الغلو وأهله.

■ **٥) جر الأعداء لبلاد المسلمين:**

فكم من دولة إسلامية حوربت وتم احتلالها، بل وقُسِّمت، ونُهبت خيراتها، ودُمرت بنيتها التحتية وشُرد أهلها، بحجة وجود الغلاة فيها وأنهم يشكلون خطرًا على الدول المعتدية؟

ومن يطالع خطاب الغلاة الذي يوجهونه للعالم لن يجد صعوبة في العثور على ما يبرر به المعتدون المحتلون عدوانهم، فقد اعتاد الغلاة على إطلاق صيحات التهديد والوعيد في كل الاتجاهات ضد كل القوى في العالم، ولا يوجد عاقل إلا ويعلم أنها تهديدات فارغة، لا يقدر أصحابها على تنفيذها، وكيف يفعلون وهم يقاتلون العالم بسلاح لا يصنعونه بل يصنعه هو؟

لكن المحصلة في النهاية أن هؤلاء الغلاة يعطون المعتدين مبررات عدوانهم، وليت الضرر يقع على الغلاة وحدهم لكنه يطال الأطفال والنساء والأبرياء كذلك.

السادس: تحرير المصطلحات:

من طرق إزالة اللبس والخلط بين التفسير والتبرير، تحرير المصطلحات الشرعية، ويقصد بذلك بيان معاني مصطلحات استعملت في غير مواضعها.



ومن تلكم المصطلحات: مصطلح الفتنة، فالفتنة لفظة وردت في الشرع وأطلقت على معان عدة، ولكن من الإشكاليات أن البعض يحمل ما يحدث من الغلو على محمل أنه فتنة ينبغي السكوت عنها، فيرى التفجير والتخريب والتدمير فيسكت، وقد ينصح غيره بالسكوت على أمثال هذه الأفعال النكراء تجنبًا للخوض في الفتن، وهذا لا شك أنه مخالف للصواب، فإن لم تكن هذه الأفعال منكرات يجب إنكارها فما المنكر إذن؟

وما أجمل هذه الكلمات النورانية، والقواعد الشرعية التي وضحها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا: (أما ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتن والقعود عنها فمعروف عند أهل العلم وتفصيل ذلك فيما يلي: يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنها ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي من يستشرف لها تستشرفه فمن استطاع أن يعوذ بملجأ أو معاذ فليفعل**» أخرجه البخاري في صحيحه، فهذه الفتن هي الفتن التي لا يظهر وجهها ولا يعلم طريق الحق فيها، بل هي ملتبسة، فهذه يجتنبها المؤمن ويبتعد عنها بأي ملجأ، ومن هذا الباب قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوشك أن يكون خير مال المرء المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**» أخرجه



البخاري في الصحيح، ومن هذا قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لما سئل: أي الناس أفضل؟ قال «**مؤمن مجاهد في سبيل الله**» قيل ثم من؟ قال «**مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**».

والمقصود أن هذا عند خفاء الأمور، وعلى المؤمن أن يجتنبها، أما إذا ظهر له الظالم من المظلوم والْمُبطل من الْمُحق، فالواجب أن يكون مع المحق ومع المظلوم ضد الظالم وضد المبطل، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» قيل يا رسول الله كيف أنصره ظالما؟ قال «**تحجزه عن الظلم فذلك نصره**» أي منعه من الظلم هو النصر.

ولما وقعت الفتنة في عهد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ اشتبهت على بعض الناس، وتأخر عن المشاركة فيها بعض الصحابة من أجل أحاديث الفتن كسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وجماعة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ولكن فقهاء الصحابة الذين كان لهم من العلم ما هو أكمل قاتلوا مع علي؛ لأنه أولى الطائفتين بالحق، وناصروه ضد الخوارج وضد البغاة الذين هم من أهل الشام لما عرفوا الحق وأن عليًا مظلوم، وأن الواجب أن يُنصر وأنه هو الإمام الذي يجب أن يُتَّبع، وأن معاوية ومن معه بغَوا عليه بشبهة المطالبة بقتل عثمان، والله جَلَّوَعَلَا يقول في كتابه العظيم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ



﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ ما قال: فاعتزلوا، قال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ فإذا عرف الظالم وجب أن يساعد المظلوم لقوله سبحانه: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، والباغون في عهد الصحابة معاوية وأصحابه، والمبغي عليه علي وأصحابه فبهذا نصرهم أعيان الصحابة نصروا عليًا وصاروا معه كما هو معلوم.

وقال في هذا المعنى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح في قصة الخوارج: «**تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أَولى الطائفتين بالحق فقتلهم علي وأصحابه فاتضح بذلك أنهم أَولى الطائفتين بالحق**».

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في أمر عمار: «**تقتل عمارًا الفئةُ الباغيةُ**» فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين. فمعاوية وأصحابه بغاة لكن مجتهدون، ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان، كما ظن طلحة والزبير يوم الجمل ومعهم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، لكن لم يصيبوا فلهم أجر الاجتهاد وفاتهم أجر الصواب. وعلي له أجر الاجتهاد وأجر الصواب جميعا، وهذه هي القاعدة الشرعية في حق المجتهدين من أهل العلم أن من اجتهد في طلب الحق ونظر في

أدلته من قاض أو مصلح أو محارب فله أجران إن أصاب الحق، وأجر واحد إن أخطأ الحق، أجر الاجتهاد، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد وأخطأ فله أجر**» متفق على صحته.

فكل فتنة تقع على يد أي إنسان من المسلمين أو من المبتدعة أو من الكفار ينظر فيها، فيكون المؤمن مع المحق ومع المظلوم ضد الظالم وضد المبطل، وبهذا ينصر الحق وتستقيم أمور المسلمين، وبذلك يرتدع الظالم عن ظلمه ويعلم طالب الحق أن الواجب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان عملا بقول الله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾، فقتال الباغي وقتال الكافر الذي قام ضد المسلمين وقتال من يتعدى على المسلمين لظلمه وكفره حق وبر ونصر للمظلوم وردع للظالم)[١].

كذلك من المصطلحات، الجهاد، ونصرة الدين، والخلافة: فهناك محاولات حثيثة لصرف الناس عن وصف هؤلاء الغلاة بالخروج، بادعاءات مزعومة؛ مثل أنهم مجاهدون أو محتسبون أو مجددون للدين أو مقيمون للخلافة، حتى لا يحذر الناس خطرهم،

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٨٩).



بل ربما يتعاطفون معهم بإطلاق مثل هذه الأوصاف، وقد يتعاونون معهم، ولا شك في خطورة هذا المنحى.

فمما لا مرية فيه أن للخوارج أصولًا من شابههم في هذه الأصول كان منهم، ولا ينبغي لأحد أن ينسب جهادًا ولا حسبة ولا خلافة للخوارج، فهم من شرار الخلق، وفي هذه النسبة الباطلة تشويه لمعاني هذه الكلمات الشريفة، وصد عن سبيل الله من حيث درى المبررون أو لم يدروا.

فمن أصول الخوارج التي بينتها الشريعة، وتكلم فيها العلماء المحققون، التكفير بالذنب، والتخليد في النار لمرتكبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْخَوَارِجُ يُكَفِّرُونَ بِالذَّنْبِ الْكَبِيرِ أَوْ الصَّغِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ»[(١)]، فمن أتى لذنب ليس بكفر وعدَّه مكفرًا فهو خارجي من هذا الوجه.

ومن أصولهم استباحة دماء المسلمين: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلُهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» وَهَذَا نَعْتُ سَائِرِ الْخَارِجِينَ كَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٥١).

دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ؛ لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ شَرٌّ مَنْ غَيْرِهِ)[١].

ومن أصولهم المبالغة في التكفير، والخروج على أئمة الهدى وعلماء الأمة، يقول شيخ الإسلام: (فَهَؤُلَاءِ أَصْلُ ضَلَالِهِمْ: اعْتِقَادُهُمْ فِي أَئِمَّةِ الْهُدَى وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ الْعَدْلِ وَأَنَّهُمْ ضَالُّونَ وَهَذَا مَأْخَذُ الْخَارِجِينَ عَنْ السُّنَّةِ مِنْ الرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ ثُمَّ يَعُدُّونَ مَا يَرَوْنَ أَنَّهُ ظُلْمٌ عِنْدَهُمْ كُفْرًا. ثُمَّ يُرَتِّبُونَ عَلَى الْكُفْرِ أَحْكَامًا ابْتَدَعُوهَا. فَهَذِهِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ لِلْمَارِقِينَ مِنْ الحرورية وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ)[٢].

السابع: الفرق بين التمسك بالنصوص والغلو:

بعض من يبرر للغلاة أفعالهم يزعم أن ما صدر منهم منشؤه التمسك بالنصوص الشرعية، ولاشك أنه مما لا يُختلف فيه أن من الواجب التمسك بالنصوص الشرعية، وقد جاءت بذلك أدلة كثيرة، يقول الله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣، ٩٣]، ويقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[٣]، ولكن هل الغلاة متمسكون حقًّا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).
(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٣٦٧/ ١٧١٤٢).



بالنص الشرعي؟

هناك فرق كبير بين التمسك بالنص، والوقوع في الغلو، وقد سبق معنا أن أحكام الشريعة كلَّها لا يمكن أن توصف بالغلو، بل هي العدل والقسط والحد الذي ينبغي أن يقف عنده المؤمن، وما الغلو إلا تجاوز هذه الأحكام.

لكن النص يحتاج لفقه وفهم، وهذه مهمة العلماء، أما الغلاة فيزهدون في العلماء وأقوالهم وتوجيهاتهم، ويفهمون النصوص على غير ما أريد منها، بسبب جهلهم وقلة فقههم وعدم أخذهم عن العلماء، ثم يستدلون بنصوص تبرر لهم أفعالهم المنكرة، من باب كلمة حق أريد بها باطل، وهذه سنة الخوارج الأولين بحذافيرها.

فهؤلاء الخوارج علَى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زعموا التمسك بنصوص الحكم بما أنزل الله، فهل كان هذا عذرًا لهم عند صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم أنهم أدركوا غلوهم وبعدهم عن التمسك بالنصوص؟ وهل حصَّل الغلاة الأدوات التي تمكنهم من فهم النصوص كما أراد الله تعالى؟ إن واقعهم ينبئ بغير ذلك، حيث تراهم من أجهل الناس باللغة والفقه وغيرها من علوم الشريعة، ويتخذون رؤوسًا جهالًا، قد يكون بعضهم أخذ شيئًا من العلم ثم انتفخ وانتفش وظنَّ نفسَه عالم العصر، وهو



لا يكاد يجاوز مرحلة صغار طلبة العلم، ثم العجب كل العجب أن يتكلم مثل هؤلاء في الدماء والأرواح، بل وفي مصير أمة بأكملها، وهم لا يكادون يجيدون مسائل الطهارة!

فكيف يمكن عدُّ هذا من التمسك بالنصوص الشرعية؟ فلنعذر الخوارج الأولين إذًا!





نصيحة للمخلطين بين التفسير والتبرير

في الختام...

لا بد لنا من كلمة لإخواننا الذين يقع في كلامهم خلط بين التفسير والتبرير، أنهم بفعلهم هذا يفتحون الباب للشباب للانحراف والاتجاه للغلو من حيث لا يشعرون، فإن الشاب الذي يسمعهم يذمون الغلو ويعترضون على أفعال الغلاة ويجرمونها، ثم يسمعهم يبررون هذه الأفعال بذكر الأسباب التي أدت إليها، فإن طبيعة الشباب الثائرة والانفعالية ستتأثر بالتبرير ولن تلقي بالاً في كثير من الأحيان للذم والاعتراض، بل سيجدها أعمالا مبررة لا ينبغي معارضتها بل ينبغي إزالة الأسباب التي أدت إليها، فلعله يتلفت حوله فلا يجد سبيلاً لإزالتها إلا بالانضمام لأصحاب الشعارات الرنانة، الذين يتوعدون العالم بالويل والثبور وعظائم الأمور، بينما هم يشترون سلاحهم من عدوهم!

ويزداد الطين بلة إن كان أصحاب الخلط بين التفسير والتبرير يُسِرُّون نقد الغلو والغلاة، ويجهرون بالخلط بين التفسير والتبرير، فلا شك أن هذا سيكون بمثابة الدعوة للغلو والانخراط في جماعاته المختلفة، وسيكون لمثل هذا الموقف أسوأ الأثر على الشباب

وعلى الدعوة والدعاة، وسيعطي أعداء الدين من المرجفين والمنافقين الفرصة للربط بين الدعاة والغلاة، وتشويه صورة الدعاة واستعداء المجتمع والدول عليهم، وفي هذا من الضرر والفساد ما لا يخفى.

وبعد...

فإننا لا نعني بكلامنا السابق أن يكون التعامل مع الغلاة بطريقة واحدة؛ فالغلو درجات، ولكل درجة منها علاج شرعي وطريقة مناسبة، ولسنا نعني كذلك أن كل من ظهر منه شيء من الغلو يكون غاليًا أو خارجيًا، بل لا بد من تمحيص وتفصيل لا يسعه المقام.

ما نعنيه ونريد الوصول إليه أنه لا ينبغي أن تسوقنا العاطفة لتخرجنا عن الحد الشرعي الموضوع للتعامل مع الغلو والغلاة، ولا ينبغي لنا أن نخلط في أقوالنا وأفعالنا بين التفسير والتبرير، فلكل منهما مجاله الذي لا يصح أن يتعدى على الآخر ويختلط به، فإن حصول هذا مؤذن بفتن في الأرض وفساد كبير، وهو ما نرى بعض آثاره.



وما نريده هو أن تتوحد الجهود للبحث في أسباب الغلو وإيجاد الحلول المناسبة لعلاج هذه الظاهرة، لاستنقاذ من ضلَّ من شباب المسلمين ونحا نحو الغلو، وتحصين غيرهم ممن يمكن أن يحذو حذوهم، وحماية المجتمعات المسلمة من الآثار المدمرة للغلو، لتتمكن من الوقوف بقوة في وجه التحديات والمصاعب الخارجية الكثيرة المحيطة بها.

والله المستعان.

الفهرس

الموضــــــــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
تعريف الغلو	٧
تاريخ الغلو	١٠
الغلو في الأمة الإسلامية	١٢
أسباب الغلو	١٦
١- ضعف العلم والبصيرة بحقيقة الدين	١٦
٢- منهج إسقاط أهل العلم	١٨
٣- اتباع الهوى	١٩
٤- الغَيرة المَذمومة	٢٣
٥-التكوين النفسي للغالي	٢٧
٦-البيئة الفاسدة	٢٨
٧- محاربة الدين وتغييب الشريعة وعلو صوت المفسدين	٢٩
٨- العدوان الخارجي على الأمة	٣٢
٩- الظلم	٣٢
سؤال ومكاشفة	٣٤
طرق إزالة اللبس بين التفسير والتبرير	٣٧
الأول: بيان الهدي النبوي في معاملة الغلاة	٣٧
الثاني: بيان أن صلاح القصد ليس مبررًا لسوء العمل	٤٤
الثالث: بيان أنه لا تلازم بين الظاهر والباطن	٤٧
الرابع: إلزام أهل التبرير بالتبرير للعصاة والملاحدة	٥٢



الموضـــــــــــوع	الصفحة

■ الخامس: بيان مآلات الغلو ٥٥

» ١- تقسيم المجتمع الواحد ٥٦

» ٢- إهدار جهود كبيرة من أمة تترف ٥٧

» ٣- تخويف الناس من التدين والمتدينين ٥٨

» ٤- ضعف الأمن والأمان أو انعدامه ٥٨

» ٥-جر الأعداء لبلاد المسلمين ٥٩

■ السادس: تحرير المصطلحات ٥٩

■ السابع: الفرق بين التمسك بالنصوص والغلو ٦٥

❁ نصيحة للمخلطين بين التفسير والتبرير ٦٨

❁ الفهرس ٧١

